

# مونيخ ومورافيا وزرعيتها...

## سيرة بقلم نبيل المحامي

وائل ليس تخليداً لذكراه وحسب ، بل لان في المقالة ما يشير الى قمة النضج الفكري - الدعائي لدى المثقفين العرب في الغرب . واصف هذا الفكر بأنه دعائي من حيث وظيفته ، لان السمة الاساسية في وائل هي صدقه وبعده عن الهراء الكيفيالي . رحمه الله ورزقنا كثيرين من امثاله . وارجو ان يتحمل الفارئ الكريم كذلك مشقة قراءة الكلمة التابينية التي كتبتها عشية وفاة وائل وكنت لا ازال تحت اثر الصدمة ، هذه المرة تحية لذكرى وائل وليس لان في المقالة ما ينفع ، اذا استثنينا بمض المعلومات التي تقدمها عن حياة الشهيد بل لا يعرف عنه شيئاً .

### اليهود

فيما يلي مقال ناتاليا جنزبرغ المنشور في مجلة «لاستامبا» بتاريخ ١٤ - ٩ - ١٩٧٢ :

بعد احداث ميونيخ بيوم اتصلت بي جمعية الصحافة الكاثوليكية وقالوا انهم يحضرون التحقيق حول اللبحة وطلبوا مني ابداء رأي . رفضت الاجابة . قلت اني لا اجيب ابداً على اسئلة التحقيق الصحفية . لان لفظ اربع جمل على الهاتف يبدو لي امراً غيبياً وغير ذي نفع . غير انه عاودتني بعد ذلك الرغبة في الاجابة على الصحفيين الكاثوليك بمقالة مطولة . لم يكن لدي رأي واحد اعبر عنه ، بل كانت لدي آراء عديدة ، كما اني رفضت في جمع خواطر عديدة كنت اراها مبعثرة لدي . وها انذا اجيب هنا .

عندما تحدث مصيبة ما في العالم ، يخطر لنا ان نتساءل كيف نتصرف نحن بالذات لو كنا الابطال ، أي اذا كانت لدينا المقدرة على القيام بامر ما . وبما ان السلطة بعيدة عن ايدينا فان هذه الافكار تبقى خيالات فارغة . بيد اني ساقول حتى في هذا الحال ، حلال الخيالات الفارغة ، كيف كان بوسعي التصرف خلال احداث ميونيخ لو كانت سلطة العمل في يدي .

لو كنت فولدا ماير لاطلقت سراح ال ٢٠٠ معتقل ، ذلك كما طلب الفدائيون . يقولون ان على الانسان الا يخضع مطلقاً لشروط الثار . لكنه يبدو لي انه لا بد حتى من قبول شروط الثار في حال وجود مصيبة كبيرة مشتركة . ويقولون ان المثني سجين سيمسكون بابريراء آخرين ويذرعون مذابح اخرى لو اطلق سراحهم . لكن العالم اليوم مبني بطريقة كوارثية وبشكل لا بد معه في التقرير مرة بعد مرة ودقيقة بعد دقيقة كيف ندافع عن انفسنا وعن من ندافع . واظن انه كان لا بد من انقاذ اولئك الرهائن التسعة وانه كان لا بد من ترك كل اعتبار آخر جانباً . واظن ان فولدا ماير لو اطلقت سراح المثني سجين فانها كانت ستقدم للعالم درساً في القوة وليس درساً في الضعف . او على اقل تقدير ، درساً في القوة الوحيدة التي من المشروع ان يعتقد بها الانسان ، لانها القوة التي تهز بالانتصار وهي على استعداد للخسارة ، ولانها القوة التي لا تكمن في السلاح او في البترول او في الكبرياء ،

تختلف عملية ميونيخ عن غيرها من العمليات التي قامت بها المنظمات الفدائية بنوعية ردود الافعال التي اثارها . واذا كان الحكم على صلاحية العملية لا يحق الا لمن يملك في يمينه قلم التاريخ ، فان من الضروري والواجب معالجة ردود الافعال على اختلاف انواعها واتجاهاتها ، خاصة الآن وقد بدأت العواطف التي اثارها العملية تعود الى ابعادها العادية . انها مهمة تقع على الفكرين والمثقفين قبل غيرهم : فان ننظر الامر من اجزة الاعلام او غيرها من الاجهزة الرسمية يعني قبل كل شيء انتظار العم والفراغ . ويكفي القول ان مخطط هذه الاجزة بدأ الآن يتخذ الاتجاه الذي كان سليماً اتخاذه في ال ١٩٤٨ او في ال ١٩٥٦ على ابعد تقدير . هذا ليس تشهيراً بهذه الاجهزة العربية ، فلننا نعرف ان لهذا الشراصولاً كثيرة . على اية حال المهمة تقع الآن في الدرجة الاولى على عاتق اولئك الذين ما زال الله الى جانبهم لانهم لم يتسموا بالفازات البيروقراطية الساعية في الكاتب الرسمية .

فيما يلي نقدم مقالة للكاتبه الايطالية المعروفة ( في ايطاليا مشهورة ) ناتاليا جنزبرغ . وهي من اصل يهودي . والجدير بالذكر ان مقالاتها اثار كثيراً من ردود الفعل ضدها من قبل يهود ايطاليا . هناك ، كما هو واضح ، كثير من المغالطات - التي نستطيع ان نجزم بكونها صادرة عن حسن نية الكاتبه - ، الا ان الروح العامة للمقالة ايجابية وتستحق في رأينا كل تقدير . ومما حثنا على ترجمتها كاملة كونها أصبحت اساساً اعتمدته كثير من المقالات الاخرى . من هذه المقالات تلك التي كتبها الصحفي والاساتذ الجامعي ليو ليفي ( ايطالي - اسرائيلي ) ذو الميول اليسارية . ترجمنا هذه المقالة ايضاً كاملاً رغم قناعتنا التامة بوجود مغالطات ، مقصودة هذه المرة ، تتداخل في كثير من جوانبها . الا ان المقالة تشير الى انتهاء مرحلة في الدعاية الاسرائيلية - او بدء انتهائها - وقرب الشروع في تحريب مرحلة دعائية اخرى . ولذلك لا بد من قراءتها بتمعن ومعرفة الاتجاه الذي يمكن للدعاية العربية ان تنتهجه فيما بعد .

اما العمل الثالث الذي نسوقه في هذا المجال فهو حديث كنت قد اجرته مع الكاتبه الايطالية دانشا مارابيني ، زوجة البرنو مورافيا ، حول عملية ميونيخ وهو ينشر للمرة الاولى . واسوقه الآن لانه صورة صادقة عن موقف اليسار الفكري في ايطاليا من عملية ميونيخ والفداء بصورة عامة .

اما في القسم الثاني من هذه الرسالة فقد حاولنا تقديم ترجمة للنص التابيني الذي كتبه البرنو مورافيا بعيد وفاة الشهيد وائل زميتر الذي اقتلته المخابرات الاسرائيلية في روما ضمن حملة الانتقام لعملية ميونيخ . ومن المعروف ان وائل كان يمثل منظمة فتح في ايطاليا . لكنه كان كذلك من خيرة الشباب العرب المثقف في روما . وكان الشهيد قد دفع الى مجلة « لسبرسو » المعروفة بمقالة قبيل وفاته ونشرت حالاً بعد موته تحت عنوان « وصية مناضل فلسطيني » ، وذلك الى جانب مقالة مورافيا التابينية . ونحن نقل ترجمة كاملة للمقالة

بل تكمن في النفس .

ترمي بحركة سريعة بما انها ليست افضل من الموت او ان لها لئون الموت على اية حال .

انا يهودية ، ويبدو لي ان كل ما يتعلق باليهود يخصني على الدوام . اني يهودية من جانب ابي وحسب ، لكني فكرت على الدوام ان جانبي اليهودي اكبر واثقل من الجانب الآخر . واذا ما صدف والتقيت في مكان ما بشخص ما اكتشف انه يهودي ، فاني اشعر بصورة غريزية بصلة ما مع ذلك الشخص . بعد هنيئة قد اجد ان ذلك الشخص كرهه ، لكن حسا من المشاركة الفاضلة يبقى ساندا لدي . هذه سمة من سمات طبيعتي اجدها غريبة ولا تعجيني على الاطلاق ، لانها تخالف مخالفة صريحة كل ما فكرت به خلال مجرى حياتي ، ولاني اعتقد انه لا توجد بين اليهود صلات ان لم تكن صلات سطحية الى ابعد الحدود ، ولاني اعتقد انه على البشر تجاوز حدود اصولهم . هذا ما افكر به ، لكنني عندما التقي بيهودي لا افلح في اسكات حس التعاض الغريب والمعتم .

عندما عرفت عن مذبحه ميونيخ فكرت انهم قتلوا مرة اخرى ابناء دمي . فكرت بهذا في بحر من الافكار الاخرى ، لكنني فكرت به . وعندما فكرت به شعرت بالاحتقار نحو نفسي لانه تفكير لا بد من احتقاره . لا اعتقد على الاطلاق ان لليهود دما مختلفا عن دم الآخرين . لا اعتقد بوجود تقسيمات الدم .

اني يهودية وكانت لي تربية برجوازية . وقد زرعت هذه التربية البرجوازية في نفسي بعض الافكار الزائفة . ولا بد اني بشكل ما استنشقت منذ طفولتي الاولى فكرة ان للبرجوازيين ولليهود حقوقا على الآخرين وانهم متفوقون على الآخرين . لم يقل احد لي في بيتي بالطبع شيئا من هذا القبيل ، بل انهم علموني تساوي الحقوق بين بني البشر . غير ان بنية تربيتي لا بد ان تحتوي فكرة ما عن هذا التفوق والعلو . اننا نناضل حياتنا كلها في سبيل تخلصنا من مساويء تربيتنا ، لكن مساويء التربية تبقى مطبوعة في النفس كما تبقى مطبوعة رسوم الوشم . وما اكثر ما نحاول خلال سنن رشدنا ازالة رسوم الوشم تلك عن نفوسنا .

لقد فكرت على ما اعتقد ان ليهود اسرائيل حقسوقا وتفوقا على العرب . بيد انه بدا لي مرة ان هذه الفكرة فكرة مرعبة . فنزعتها ودستها بفضب . ثم اني ادركت ان تلك الفكرة المرعبة كنت انا التي كانت تحميها كما لو كانت نبتة زرع على حافة نافذتي . وهكذا فمسخ اتي اثرعتها ودستها فاني لست واثقة كل الثقة من انه لم يبق لدي بعض الشظايا المنتشرة منها . ان لافكارنا المرعبة فضيلة تعريفنا بطبيعة نفسنا الخفية . ففكرة ما مرعبة تنمو وتتوالد من غير ان تحمل شيئا ما حولها على ان يزول ويتلاشى . انها تنمو وتتوالد الى جانب افضل حوافزنا والى جانب تعطشنا للعدل والمساواة ، من غير ان تزيل شيئا من تلك الحوافز ومن ذلك التعطش لكنها تحولها شيئا فشيئا الى قبضة من هشيم عفن .

وان لافكارنا المرعبة ايضا فضل تعريفنا بتكوين اعدائنا ، او بمن نجرؤ على تسميتهم باعدائنا . ان عليها ان تعلمنا كيف نحمل بانظارنا على الآخرين بتسامح وباقصى انتباه ومودة . وبعد ان ننتزعها ونندوسها علينا ان نحفظ بذكراها وننقطع عن النظر الى انفسنا على اننا ابناء الخير الكوني .

أحيانا كنت افكر ان ليهود اسرائيل حقوقا وتفوقا على الآخرين لانهم نجوا من حملة اباداة . هذه لم تكن فكرة مرعبة بل كان خطأ . لان الالم ومذابح الابرياء التي عاينا منها خلال حياتنا لا تعطينا أي حق على الآخرين او أي نوع من التفوق عليهم . واولئك الذين عرفوا نقل الاهوال على اكتافهم لا يحق لهم ان يقيموا اشباههم بواسطة المال او السلاح ، لان هذا الحق لا يملكه وبكل بساطة أي مخلوق على وجه البسيطة .

ولو كنت رئيس الشرطة الالمانية ، لتركت الفدائيين يسافرون الى حيث يشاؤون سليمين من أي اذى ومعهم رهائنهم . فلو كانت هناك ذرة واحدة من امكانية انقاذ واحد من الرهائن فعلى الجميع ان يعتبروا تلك الذرة أمرا جوهريا .

ولو كنت رئيسي الاولبياد ، لكنت قد اوقفت الاولبياد لانه من الواضح ان لا معنى لها على الاطلاق بعد ذلك .

وفي النهاية ، لو كنت رئيس دولة ما ، لطلبت من اميركا ان تسحب من الفيتنام . كنت ساطلب منها ذلك قبلا بالطبع ، لكنني ساطلبه في هذه اللحظة على وجه الخصوص . لا اعتقد ان الاطفال الفيتناميين مختلفون عن الرهائن التسعة الاسرائيليين . الفرق الوحيد هو التالي ، وهو اننا اعتدنا جميعا رؤية الاطفال الفيتناميين وهم يموتون ، بل اننا اعتدنا حتى ان نرى كيف يموتون ، بما اننا رأيناهم من غير ان يرف لنا جفن وهم يموتون امامنا على شاشات السينما والتلفزيون . لكن الامر يتعلق بعبادة رهيبة . وكون الفيتنام مرحبا للحرب بينما يريدون للملعب الاولبي ان يكون ما يسمى بجزييرة سلام لا يشكل في رأيي فرقا اساسيا . بل انه من الزائف ان يعتقد الانسان بامكانية وجود جزر سلام في العالم مثل عالمنا . فضلا عن ان مصائر البشر اليوم متشابكة ومتراصة بشكل لا بد معه لحرب تنشب في بقعة من بقاع الارض من ان تنشر يوميا لامبالاة واعتيادا وعائلية مع المذابح . ولكن لو سحبت اميركا في هذه اللحظة قواتها من الفيتنام فان ميتة اولئك الرهائن الاسرائيليين التسعة لن تكون هزيمة .

عندما افكر بالفدائيين اشعر وكأنسي احس برعب لانساني . لا يمكن لمثل هذا الرعب اللانساني الا ان يكون مستوحى من وجود ياس لانساني . وعندما نعرف الى معالم الياس اللانساني فاننا نشعر بنفسنا والمشاعر المعتادة تزول منها ، فلا نشعر بعد بالقبضاه او بالاحتقار او بالشفقة . لان روحنا تصبح حجرية . يبدو لنا اننا نرى تحت خطواتنا صحراء من حجارة لا تنبت فيها بفضاء او احتقار او شفقة ، كما لا تنبت الاشجار . وعندما نفكر بالفدائيين بهذا الرعب اللانساني فاننا نصبح للحظات مثلهم شبيهين بهم وبالفكرة التي كونها عنهم ، نصبح من حجارة ونفقد شهيقي الروح . علينا ان ندافع عن انفسنا ضد هذا الرعب اللانساني لانه انحراف بالفعل . لكن الفدائيين يعبرون على الأرجح عن الحد الاقصى لياسنا نحن بالذات ، مع ان هذا الياس ليس لانسانيا ويقطر شفقة واحتقارا ، وقد اعتدنا الحياة معه منذ زمن طويل . وهكذا فان الطريق لفهم الفدائيين تكمن على الأرجح في ياسنا نحن بالذات . انهم يبدو لنا وكأنهم قادمون من عالم ليس عالمنا . لكن الدروب التي ساروا عليها حتى وصلوا الى مثل ذلك الياس اللانساني تبدو لنا دروبا لانسانية وصغيرة على التفسير والفهم لمجرد انه لم يتفق لنا ان عرفناها على الاطلاق ، كما اننا لم نتسائل على الاطلاق اذا كانت دروبا مختلفة وبعبدة عن الدروب التي عبرناها نحن بالذات او اذا كانت شبيهة بها وقريبة اليها .

اننا لا نعلم الا القليل القليل من الفدائيين ، غير اننا نعلم انهم على استعداد لهدم حياتهم ، وكذلك حياة الآخرين ، في كل برهة . وعندما يهدرون حياتهم لا نفكر في الشجاعة ، وعندما يهدرون حياة الآخرين لا نفكر في القسوة . ولهذا يبدو لنا انهم مزودون بقوة لا يمكن الوصول اليها بواسطة الصوت . فمن المستحيل ان نطلب اليهم انقاذ الابرياء . لانه في الاماكن اللانسانية وفي اماكن الياس التي يعيشون فيها ، يبدو لنا انه لا يوجد مكان بعد للابرياء وللمذنبين ، لانه ليس للعالم بعد هناك الوان البراءة والذنب ، ولان العالم مهجور ومقفر ولسه نفس اللون . لا يوجد فيه الا الموت وحياة اصبحت ليس الا مزقة

فلسطين ، نحن « اليهود اليساريين » ، ومنذ ذلك الحين ، ليس على اننا لاجئون او غارون ، بل على اننا طلائع انسانية ( اومانيزم ) جديدة - قديمة ، وليس على اننا « بلا ماوى لا يعرفون اين الذهاب » ، بل لنؤكد هناك مثلنا الاشتراكية وما يميزنا ذاتيا من الناحية العرقية ، ذلك كما يريد ان يفعل الفلسطينيون اليوم بالذات .

كنا نعلم اشد العلم ان اكثرية حرب فلسطين كانوا من الزراع الفقراء والرعاة ( ولكن تجار وافندية ايضا ) ، ولذلك فاننا لم نذهب لاستعمارهم ولكن لنضع انفسنا على نفس مستواهم بما انه قد سبق لنا وان تركنا وراء ظهورنا فكرة قمع اي اخ لنا مسلما كان او مسيحيا ، ساميا او آريا ، وبواسطة تفوقنا الاقتصادي والثقافي او العسكري . وان سني حياتي السعيدة هي تلك التي قضيتها آنذ هناك تحت خيمة الكيبوتز : الذي لم يكن حصنا كما هو اليوم او شركة زراعية غنيصة يملكها اليهود ويعمل فيها كامبسينوس عرب ، بل كان تجربة مساواة همالية ، يمكن تخمينها بسهولة .

بعض رفاقنا من ابناء مدينة تورينو ذهب آنذ ليقاتل في اسبانيا ، بينما كان آخرون يدوون في سجن ريجينا شيلي في روما . اما نحن فقد القينا ليسانسانا على اعشاب القراص وبدانا نعمل باجسادنا وبكل قسوة الى جانب العمال العرب في مزارع برتقال « الاسياد » . وكان بين اولئك الاسياد آنذ يهود وعرب : لان حدود الطبقة لا تتوافق ، او انها لم تكن تتوافق على اقل تقدير ، مع حدود العرق .

ولم يحدث الا بعد هذا بكثير ، بعد الحرب العالمية ، ان اغتني اليهود وهرب العرب ، وفي العشرين سنة الاخيرة فقط نتج هذا الاختلاف الشاسع في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ، فنحن كنا خلف حدود دولة اسرائيل الجديدة نتم بما ياتي من « تساويات المانيا » ومن « التبرعات » السخية ( لكن المفرضة سياسيا ) القادمة من اميركا ، بينما كان العرب من طرف الحدود الآخر ، واولئك هم اللاجئون حقا ، في الصحراء ، وقد اجبروا على الاسترخاء والحقد ، اي على ان يعيشوا في وضع اسوأ من وضع « الرعاة والزراع » ، ولم يحدث هذا بسبب سوء نية البلدان العربية التي استضافتهم ، كما يدعي البعض اليوم ، بل بسبب تخلفهم المأساوي . وقد سبب هذا التحول ما يمكننا تسميته « خطيئة الشهوة » . لكن هذا لم يكن يبدو آنذ بهذا الشكل ، خاصة واننا كنا نعيش نحن ايضا قساوة الجوع او ما يشابه الجوع بما اننا استقبلنا وقتها اكثر من مليون من اليهود الفقراء والمعلمين الذين اتوا من كل القارات وبعد ان استقبلنا قبلها من نجوا من المذابح الهتلرية . وهكذا آتى الاتفاق الذي عقده بن غوريون في اوائل الخمسينات مع الرئيس الاميركي آنذ ايزنهاور ومع اديناور ، والذي قدم لاسرائيل التي كانت حتى ذلك الحين « عزلا ومنكمشة » بالفعل - وكما تقول جنزبرغ - ماركات المانية واسلحة غربية ، آتسى ذلك الاتفاق ليعيد اسرائيل عن ترك بساطتها البدائية في الحياة وعلى ترك حياها البدائي .

ونضيف ان لا بن غوريون ولا احدا من زعماء الامس او اليوم ، فولدا ، دايان ، كانوا من اللاجئين ، كما لم يكونوا ممن « لا يملكون بيتا » خلال طفولتهم الروسية او الاميركية او الفلسطينية . ولم يكن اعترازهم القومي اليهودي آنذ يختلف عن اعتراز الوطنييين الفلسطينيين العرب اليوم . لكن اولئك الزعماء يرفضون اليوم الاعتراف بشرعية « الكيان القومي الفلسطيني » لانهم يريدون الآن ضم كل الاراضي الفلسطينية . ومن الواضح ان رفضهم هذا مدمر بالنسبة لقضية ايجاد حل منطقي للصراع . غير انه لا بد من الاعتراف بان هذا الرفض يرتبط بصورة غير مباشرة بموقف الحب الفيسري المقيت الذي يتخذه البرجوازيون المتخمون ( والاحزاب الاوروپييسة بصورة عامة ) ، والذين سبق لهم وان رفضوا الصهيونية على انها حركة اليهود القومية لانها نشأت بعد خمسين سنة على نشوء حركات التحرر القومية في اوربا ، ولهذا فهم يرفضون اليوم الاعتراف بهذه

فيما يتعلق بيهود اسرائيل يحدث معي هذا . اذا تكلم احد ما ضدكم اشعر بنوع من التمرد والاهانة . يبدو لي ان عائلتي بالذات هي التي تهان . لكن اذا تكلم احد عنهم باعجاب وود فاني اشعر في الحال بانني لا اشركه رايه واني مع الطرف المقابل .

لقد احببنا اليهود الذين ذهبوا الى اسرائيل بعد الحرب واشفقنا عليهم لاننا فكرنا انهم نجوا من حملة اباداة ، وانهم كانوا بلا مساوي ولا يدرون اين يذهبون . احببنا فيهم ذكرى الالم والضعف والخطوة النათية والاكثاف المثقلة بالاهوال . وهذه السمات هي التي نجحنا اليوم في الانسان . لم تكن مهشين على الاطلاق كي نراهم ينقلبون امة قوية وعنيفة وعدوانية ومنتمقة . كنا نامل لهم ان يبقوا بلدا صغيرا واعزل وان يحافظ كل منهم على سماته الهزيلة والبرية والتاملية والمنعزلة . ربما لم يكن ممكنا . غير ان هذا التحول كان من ابشع الامور التي جرت .

عندما يتكلم احدكم عن اسرائيل باعجاب اشعر بانني مع الطرف الآخر . فقد فهمت فجأة ، ربما بصورة متاخرة ، ان العرب كانوا فلاحين فقراء ورعاة . اعراف اشياء قليلة عن نفسي ، لكنني اعترف بكل تأكيد اني لا اريد ان اكون الى جانب اولئك الذين يستعملون السلاح والنقود والثقافة في سبيل قمع الفلاحين والرعاة .

ان غريزتنا تدفعنا للوقوف الى جانب هذا الطرف او ذلك . غير انه من المستحيل ربما اليوم الوقوف الى جانب هذا الطرف او ذلك . فبنو البشر والشعوب يتعرضون لتحولات غريبة وسريعة وبشعة . والاختيار الوحيد الصالح بالنسبة لنا هو الوقوف الى جانب اولئك الذين يموتون ويعانون من غير ما ذنب . قد يقال انه اختيار سهل ، لكنه الاختيار الوحيد ربما الهيا اليوم لنا .

## « راي يهودي مختلف »

وفيما يلي رد ليو ليفي في « الاسبرسو » بتاريخ ٢٩ - ١٠ - ١٩٧٢ :

لنبدا بالتخلص من حكم مسبق ، لا بل من حكم تاريخي زائف . فليس من الصحيح على الاطلاق ان اليهود ذهبوا الى اسرائيل لانهم « نجوا من حملة اباداة » ، ولانهم كانوا « بلا ماوى ، خطواتهم تانهة واكتافهم تثقلها الاهوال » كما قالت ناتاليا جنزبرغ منذ فترة فسي مقال لها - جميل بالفعل - في جريدة « لاستامبا » . ان هذا الاطار « لدولة اقامها لاجئون » ، ليس الا لوحة دعائية سمحة واليوجرافية انتجها الخبث اليهودي من اجل استهلاكها من قبل البرجوازيات الاوروب - اميركية بعد الحرب العالمية ، ولغاية واعية هي استغلال الضمائر الفاسدة لاناس لم يعرفوا او لم يرغبوا في منع المذابح النازية ، وذلك لصالح الصهيونية . واذا كان سبب اقامة دولة يهودية على ارض عربية منذ ثلاثة عشر قرنا هو الضرورة - المعنوية او المادية او الانسانية - الداعية لتقديم ملجأ للمشردين او لمن « نجوا من عملية الابادة » فلا بد ان يكون الحق اذن مع اولئك العرب الذين يقولون : من غير العدل ان يجعلونا ندفع ثمن اخطاء الآخرين . والحقيقة ان اولئك الذين نجوا من الابادة لا يتعمدون بضع مئات الالاف في اسرائيل ، اي انهم قلة قليلة ، كما انه لا يوجد بينهم جماعات او افراد اساسيون ، من اولئك الذين خلقوا - وما زالوا يخلقون - ثقافة اسرائيل ، او من اولئك الذين يصنعون اليوم السياسة الحالية « العدوانية والانتقامية » .

نحن الذين بقينا رغم كل شيء صهيونيين ، نرفض باحتقار هذا الوصف الذي يدعي ان اسرائيل ليست الا تناجا بائسا وذليلا من نفايا اللانسانية تحول فيما بعد الى كولونيالية جديدة « مرعبة » . لقد اخترنا يهوديتنا في اوربا ، قبل النازية بكثير . نحن الذين قرانا موسى هيس ، اشاد هام ، تيودور هرتزل ، مارتن بوبر ، بوروشوف . وفي ايطاليا قرانا دانتي لاتيس ، الفونسو باشيفيشي ، ذهبنا الى

الصفة حتى بالنسبة للحركات العربية . ان مشاعرهم لا تتحرك ، او انها لا تبدو انها تتحرك ، الا ازاء البؤس المادي ، وهكذا فانهم يلوون جوهر المشكلة الاساسي .

والفدائيون الفلسطينيون على اية حال يقولون بوضوح انهم لا يناضلون في سبيل الوصول الى رخاء فارغ ، بل في سبيل الدفاع عن كرامتهم وثقافتهم وحضارتهم التي تعني بالنسبة لهم امتلاك الارض التي ماشوا عليها منذ قرون عديدة . اما بالنسبة لليهود ، فقد كان بوسعهم الاقامة في « ارس اسرائيل » ( كما يسمون فلسطين منذ قرون ) وبعد منفى طويل ، لكن ليس لان لهم حق المتشردين ، بل فيما اذا استطاعوا اعلاء شان حقوقهم التي كانت اخلاقية بصورة تامة ، اي فيما اذا هم تكيفوا باقوالهم القائلة « وستحب صدقك حبك لنفسك » ، « لن نتمتع الغريب » ، والتي فرضتها عليهم التوراة على انها شرط مسبق لحصولهم على ملكية الاراضي الكنعانية - والتي لم تكن بلادهم - قبل ثلاثة آلاف سنة .

وهل كان بوسعنا نحن - احفاد الانبياء الذين كانوا رعاة ، وابناء الفريسيين والاحبار الذين كانوا علماء وصناعا يدويين - ان نعطي العالم فيما لو بقينا فقراء وانقياء ، « انموذجا » للتعايش بين امتين وثلاثة اديان ؟ كنا نعتقد بهذا ، وهناك من هو قائم حتى الآن على اعتقاده هذا . بما ان نشأة اسرائيل لم يقدرها هتلر ، بل تقدرت من داخل ثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا .

ان تصاعد الصراع ودوامه البغضاء والثار تبدو اليوم وكأنها تبرهن على حتمية بروز انموذج مختلف قاس وعنيف من نماذج التقابل العرقي ، ذلك كما يحدث على اية حال في نواح اخرى من العالم . غير ان هذا يناقض كل التناقض ما يجري اليوم ويظهر في واقسع الاحداث وفي الاحتكاك اليومي بين الشعبين « الساميين » . فرغم كل شيء لا تجري اليوم في شوارع اسرائيل وحتى في « الاراضي » التي بقيت ماثولة بالعرب « ومحتلة » بصورة غير شرعية من قبيل الجيش الاسرائيلي اية تظاهرات - بين العمال وعلى المستوى الشعبي - للعداوة العرقية او انفجارات عنف وارهاب . واذا ما تركنا موجة الارهاب المدمرة التي تجري في اوربا فان الثقة ما زالت قائمة وما زلنا نتمناها وهي تتجه نحو امكانية ايجاد تعايش بين دولة اسرائيلية تعود منطقيا الى حدود ال ١٩٦٧ وبين فلسطين مستقلة يمكن لمساعدة اليهود التقيينية ان ترفعها خلال وقت قصير من وضع التاخير الاقتصادي . فلماذا لا يقوم السلام الآن وفي الحال اذن بين الوطنيين الفلسطينيين وبين اليسار الاسرائيلي بما انهم ينطلقون من منطلقات متشابهة ؟ الصعوبة - او بالاحرى الذنب - تكمن في كبرياء الزعماء الاسرائيليين المبررة لكن اللامتناهية وفي رفضهم المتعالي والمقت للتعاضد مع الفلسطينيين . انها « مصلحة الدولة » التي يبدو انها لوت خلال ايام ميونيخ الفاجعة حتى مشاعر فولدا ماير الاموية نحو ابنائنا بالذات . لكن جنود هذا الانحراف انما تكمن في السيادة الحالية للكنوقراطية وللديناموقراطية - اي لسيادة السلطة التي لا يعترف بها الا للقوة العسكرية - وفي ما ينتج عن هذا من « لقاء » غير انساني بين الكتل التي تنخر الانسانية وتزيد من حدة الامها .

ان الامل ، والامل الوحيد ، يمثله اولئك الذين يكتشفون من جديد عبرانيتهم الاصيلة ومعها الحق والواجب اللذان قالست بهما التوراة والداعيان لـ « النقد الذاتي » حتى لامتهم بالذات . يمثله اولئك الذين يقدمون اليوم على تحدي التقليدية القاسية واتهام الروح الانتصارية التي تسود اليوم وتقتل ، ذلك ليقفوا الى جانب الاموات ، اولئك الذين سينتصرون في الغد . يمثله اولئك الذين اصبحوا اليوم الاكثرية في العالم ، الذين حملتهم مذبحة ميونيخ المزوجة ومقتهم للاعتمادات الاسرائيلية الثارية على الفلسطينيين واللبنانيين العزل ، على الوقوف مع منطلق الاموات ، وهو منطلق اقوى من منطلق الاحياء . ان موتى الحروب لا يريدون ان يستخدموا من قبل الاحياء في سبيل

القيام بحروب اخرى . ان الموتى يصرخون في وجوه الاحياء كي ينهوا من امر كل « مذابح الابرياء » ، من اليهود ومن العرب ، من الصهيونيين ومن الفلسطينيين ، والبوذيين والبروتستانت . لكن انهاء المذابح لا يتم بواسطة اجراء مذابح اخرى او بواسطة اللجوء الى العمليات البوليسية ، ولا حتى بواسطة السرور الوهمي لان « النظام يسود في وارسو » ، او بواسطة القمع الخلفي والشكلي . لان الامر يتم ان نحن اصفينا لاتهامات ميئات بلا فائدة وللاحتجاجات على ما تم من تماد وللياس من توسلات القلوب الانسانية التي تجعل الحياة احيانا بلا معنى .

## راي زوجة مورافيا

وهذا راي داتشا مارايني زوجة البرتو مورافيا في حديث خاص معها :

- سمى بعضهم هنا ( جماعة المانيستو ) عملية ميونيخ عملية حربية بالمعنى الكامل للكلمة ، خاصة وان غرضها الاساسي كان تحرير سجناء عرب يعرف الجميع الطريقة التي اعتقلوا فيها . ما هو نوع العملية في رايك انت ؟

مارايني - « انها عملية ارهابية ولا شك . لكن يجب ان نرى اولا ما هو دور العمل الارهابي . هناك لحظات تاريخية كان للارهاب فيها دور فائق الاهمية . هناك مثال ارهاب الماوالماو الذي تكلمت عنه في حديثي مع البرتو ( راجع حديثهما في « الاسبوع العربي » العدد ٦٩٧ ) وهو لم يوفر حتى ابناء البلاد بالذات . اولئك كانوا يرمون الى ايقاظ ضمائر الناس للاسياسيين والى حملهم على المشاركة مع هذا الطرف او حتى مع الطرف المعادي . وقد جرى هذا محليا . اما في المجال العالمي فالامر يختلف ، انه اشد تعقيدا وصعوبة .

على اية حال انا لا ارى الان في عملية ميونيخ نواحي سلبية او ايجابية . اقول انها عملية ارهابية وان الارهاب وسيلة استخدمت في بعض الفترات التاريخية وكان لها مبرراتها . يجب اذن ان نتعالج الامر مرة بعد اخرى ، لان هناك ارهابا يمينيا ايضا . - وهل ترين مناسبا استعمال كلمة الارهاب في هذه اللحظة التي تتخذ فيها الكلمة معاني عديدة ، اكثرها سلبية ؟

مارايني - « انها كلمة مثل غيرها من الكلمات . انها تعبير ليس بالاجابي وليس بالسليبي . مثل كلمة حرب . الحكم عليها يأتي فيما بعد . انا مثلا ضد الحرب في حد ذاتها ، غير ان هناك حالات لا بد معها من الحرب . الحرب ضد النازية كانت مثلا امرا ضروريا . الكلمات تتخذ اذن معناها في اللحظة التي تستعمل فيها » .

- وهل يريد في رايك امر لفت نظر الراي العام العالمي القيام بعملية مثل عملية ميونيخ ؟

مارايني - « من الواضح ان ارهابي ميونيخ يعطون اهمية خاصة للراي العام العالمي . الما الما لم يلتفتوا كثيرا الى هذا الامر . جل همهم كان ايقاظ وعي الاميين من مواطنهم الزوجولهذا استعملوا العنف . كانوا يرون المسألة محصورة هناك ، لم يكن يهمهم ان يعرف الاميركيون او الالمان حقيقة ما يحدث في المنطقة . غير ان الفدائيين يهتمون بالراي العالمي . ربما كانوا على حق ، خاصة وان العالم اليوم متقارب الاطراف ، فما يحدث في اليابان يهم من يعيش في ايطاليا ، وبالعكس . والفدائيون يرون ان اظهار قضيتهم امام الراي العام العالمي ضروري لبقيتهم . ومنظمتهم بحاجة لنعم دعائي عالمي . على اية حال ما زال من العسير اصدار حكم ما ، لان الحكم يجب ان يكون تاريخيا . خاصة وان كثيرا من التفاصيل ما زالت مجهولة . على اية حال فان البوليس الالمانى تصرف بطريقة وحشية وهوجاء » .

- اذا حاكمنا الامور من الناحية النظرية الاترين ان كان على اسرائيل تحرير السجناء ؟  
مارييني - « من الناحية النظرية كان عليها ان تفعل ذلك . لا ادري ما هو الظرف السياسي الشامل ، فانا لست سياسية واجهل كثيرا من التفاصيل . على اية حال اعلم ان فولدا مائر صرحت بان جميع الاسرائيليين جنود . هذا يعني ان الرهائن لم يكونوا اشخاصا عزل او مجرد رياضيين او سياح . كانوا جنودا فلسطينيين . وعملية ميونيخ تصعب بهذا عملية حربية بين جنود فلسطينيين . ان بلدا مثل السويد رضخ امام طلبات الاوستاشا ، فمن الواضح في مثالهم انهم فضلوا الحفاظ على حياة ١٠٠ شخص على اطلاق سراح بعض السجناء » .

- وهل نزين ان الحملة التي سمت نفسها بمضادة للارهاب مبررة في هذه الايام ؟  
مارييني - « لا يمكن للانسان ان يتحمل مثل هذا بالفعل . خاصة وانه لا يمكن في السياسة اصدار احكام اخلاقية شاملة كان نقول هذا خير وهذا شر . لكن صحف اليمين هنا انتهالت بعناوينها الكبيرة لتردد « ارباب ، قتل ، دماء .. » انها كلامية بحتة . وهم انفسهم لا يعتقدون بما يقولون ، لكنهم يريدون الاستفادة من الوضع . على اية حال فحملتهم كانت رهيبه وبشعة » .

- الاترين ان لها اساسا عنصريا ايضا ؟  
مارييني - « بالطبع . كثيرا ما يظن الانسان ان العنصرية زالت وانمحقت . بيد انه تكفي شرارة واحدة وهاكم نار العنصرية تندلع . وقد كان لها الان في المانيا طابع اتجه ضد ما هو عربي ، وبالطبع فهذا غبي ، لان العنصرية غبية على الدوام » .  
- وهل تعتقدان بما يقال من ان هدف الاعتداءات الاسرائيلية هو الثار لعملية ميونيخ ؟

ما راييني - « انه مجرد عذر . واسرائيل تعرف ان ايلول الاسود لا يوجد هناك . تعرف انه في انحاء العالم . ومن مات هم للاجئون . بيد ان علينا الان نسي ايضا مسؤولية بعض البلدان العربية في المسألة بصورتها العامة ، فكثير من هذه البلدان رجعية وترفض حلا لمشكلة اللاجئين . ليس كل العرب متماثلين . هناك بلدان مثل المغرب متخلفة الى ابعد الحدود . وهناك بلدان متقدمة .. »

- والامم المتحدة ، هل يوسعها ايجاد حل للمشكلة ؟  
مارييني - لا ، على الاطلاق ، ليس للامم المتحدة سلطات واسعة . وربما كان هذا سليما . ليتها تستطيع . لكن هذه المشاكل تحل محليا وليس من الاعلى .. »  
- والحل ؟

ما راييني - « اؤمن بحل عرفات . دولة علمانية للعرب واليهود اكلم كانسان لا يعرف طمعا الكثير عن المشكلة . لا بد من الذهاب الى المنطقة ومراقبة الامور عن كثب . »  
- « والدول الكبرى » ؟

مارييني - « يبدو انها غسلت يديها من الامر . والا لوجدت المشكلة حلا لها . كما ان لهذه الدول مصالح على ما يبدو في بقاء الوضع على ما هو عليه » .  
- قمت مرة بالاشراف على ترجمة ايطالية لبعض شعراء المقاومة ، ما هو رايك بهذا الشعر ؟

مارييني - « يجب ان اقول اولاً ان قراءة الشعر يجب ان تجري في لفته الاصلية . على كل شعر المقاومة كما قرأته في الايطالية مبالغ في رمزيته وفي واقعيته . وهذا غريب . ربما كان هذا من خصائص الشعر العربي بصورة عامة . ثم انه شعر يعيل نوعا ما الى الغنائية . وهذا ما يعيد الشعر في العينة الغربية من الواقع ومشاكله . انطباعي العام ان انه شعر شكلي اكثر مما هو واقعي » .

### البرتو مورافيا ووائل زعيتر

ابرزت جميع البيانات والمقالات التي كتبت في الصحف الايطالية في ذكرى وائل زعيتر صداقة الشهيد مع الكاتب العالمي البرتو

مورافيا . وقد كتب مورافيا بالفعل كلمة تاييشية في مجلة «اسبرسو» الايطالية نشرت الى جانب المقالة الاخيرة التي كتبها الشهيد الراحل وظهرت تحت عنوان « وصية مناصل فلسطيني » .

جاء في كلمة مورافيا : « كان وائل زعيتر صديقا لي وموته لم يثر الامي وحسب بل لعوني ايضا ، وكيف اقول ؟ لعوني عقائديا . ذلك اني عرفت وائل معرفة جيدة وكنت اراه كثيرا من الاوقات هنا في روما ، فضلا عن اني قمت معه برحلة الى البلاد العربية بمناسبة مقابلتي مع عرفات . توقفت معه في لبنان وفي سورية وفي الكويت . كان وائل فلسطينيا يحمل جواز سفر اردنيا ، لكن فيه كانت تكمن شخصية يصعب تسميتها بهذا الاسم او بذلك ، هذا ان لم نتكلم عنه على انه تجسيد حي للصفات العربية المحببة والخيالية . وفي الواقع فقد كان وائل فارسا شهما ، خياليا ومهشما ، بسيطيا وغير واقعي ومحترما . كانت طبيته وروحه الفكهة وخياله وطبع الرحالة الذي فيه تحفل كلها على التفكير بعالم بلا حدود وبلا قويات ، بعالم واسع وديني ، كان الناس يعبرون فيه عن اخائهم لبعضهم وكان الواقع فيه يشبه مملكة الساحرات الاسطورية : من هذا الواقع يستطيع الانسان ان ينتظر اية مفاجاة . يبدو اني قدمت عن غير ارادة مني وصفا للعالم العربي الواسع لحظة كان في ودعته التاريخية ، وفي الواقع فان وائل ، بسيط كما كان ، وفقيرا كما كان ، يحمل الانسان على التفكير بذلك العالم الفني والشامل الذي تلاشى . كما ان وائل كان يعرف انه انسان خارج الزمن ، ولهذا كان - كما يقال - يلعب نوعا ما . خلال رحلتنا في الطائرة الى الكويت لم يتقطع وائل عن القراءة في جزء من اجزاء الفليلة وليلة . كان يحدثنني غالبا عن ابن بطوطة الرحالة الكبير الذي كان وائل على الارجح يحسده على حريته اللامتناهية . وعندما وصلنا الى الكويت ، والى بعض مدن الجزيرة الشبيهة ب « تيكسنا هوستون » ، ثم الى البصرة ، المدينة القديمة المنحلة والمهترنة كنت اراه وهو يلاحق كل الوقت شبح الحضارة العربية الرائع ، كما كانت يوما ما وليست كذلك بعد .. »

### « وصية مناصل فلسطيني »

وهذه ترجمة مقال الفقيه وائل زعيتر كما نشرته مجلة « الاسبرسو » ( ٢٢-١٠-٧٢ )

« يتصف موقف الصحافة الغربية ازاء الوضع في الشرق الاوسط بكون مقياس الاحكام فيه مزدوجا : فهناك مقياس لصالح العرب وآخر لصالح الاسرائيليين . وقد قدمت احداث ميونيخ مؤخرا مثالا واضحا عن هذا الواقع . وباستطاعتنا ان نرى شيئا عن الامر في « تعداد الموتى » . فقد كان عدد ضحايا مذبحة المطار بالنسبة للصحافيين الغربيين تسعا وليس اربع عشرة ضحية ( او ست عشرة اذا اردنا اضافة الالمان ) كما كانوا في الواقع : كما لو ان الفدائيين فقدوا صفتهم الانسانية بصورة اوتوماتيكية .

ثم لماذا القبول بالرواية الالمانية - الاسرائيلية التي تدعي ان الرهائن سيلقون الموت الاكيد ما ان يطاؤا ارضا عربية ؟ والحقيقة هي العكس تماما : ففي احدى البلاد العربية لا بد ان تكون حياتهم في امان ، بينما حملت المناورة التي حيكت في المطار الرهائن نحو موت اكيد .

والسؤال الذي كان لا بد من طرحه ولا بد من طرحه الان هو : مصلحة من يخدم موت الرهائن ؟ ليس مصلحة الفلسطينيين وهدفهم كان تحرير رفاقهم السجناء ، بل مصلحة اسرائيل من كل بد لان موتهم يفسح امامها المجال ، كما حدث فعلا في الواقع العملي ، كي تقوم باعتداءاتها الوحشية على مخيمات الفلسطينيين وعلى القرى السورية - اللبنانية ، وكي تلحم جبهتها الداخلية وتستعيد عطف الراي العام الدولي .

ونذكر من جهة اخرى ان مثل هذه التصرفات ليست جديدة على الحركة الصهيونية : فقد منع الاتكليز خلال الاربعمينات للاجئين اليهود القادمين على متن الباخرة السماسة « الوطن » من النزول الي

حيثما في سبيل نقلهم الى جزيرة قريبة . عندها امرت الهاغانا باغراق الباخرة من اجل هز الراي الدولي والتاثير في اليهود داخل فلسطين . ذلك بعد ان تمهي ان العملية كانت عبارة عن عملية انتحار جماعي قام بها كل القادمين على متن الباخرة لانهم « فضلوا الموت على الابتعاد عن الوطن » ، كما قال الزعيم الصهيوني كيمشي في Secret Raods الصفحة ٤٥ . ثم لا بد وان يطرح هذا السؤال

ازاء التحريف الدعائي لكل خبر : لماذا يطغى لصحايا ميونيخ قدر اكبر من الذي يطغى لصحايا الاعتداءات الجوية الاحدى عشرة ( اعتداء جوي مقابل كل اسراييلي مات ) التي قامت بها اسراييل على لبنان وسورية ؟ ربما لان النساء والاطفال الذين سقطت المدرسة الاسراييلية سيارتهم عمدا في لبنان كانوا اقل براءة من الرهائن الاسراييليين ؟

وبما ان هناك عموما مقياس تقدير مزدوجا فان الصحافسة وبقية وسائل الاعلام الغربية تميل دائما الى فصل الاحداث - مثل حادثة ميونيخ مثلا - عن السياق العام . والفصل بين السبب والنتيجة يعني في الواقع ان يضع الانسان في الظلام ما هو شديد البساطة والوضوح .

ثم لا يمكن تصنع الاعتقاد بان ما حدث في ميونيخ كان انفجارا للمنفذ داخل وضع سلام : فكما يعلم الجميع - او كما يجب عليهم ان يعلموا - العنف في الشرق الاوسط وباء انتشر منذ اكثر من خمسين سنة ، وعلى وجه الدقة منذ ان قرر القرب ضمان مصالحة الاستراتيجية على حساب شعب لم تكن مصالحة آنذ ، كما هي حالها الان ، ماخوذة باي اعتبار .

من هذه الفرصة التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني ياتي الخطر ، لان الخطر ليس خطر اولئك او هؤلاء من الفدائيين ، خاصة وان ردود افعالهم ، مصيبة كانت ام خاطئة ، انما هي دائما ردة فعل على ظلم ارتكب .

واود ان اذكر هنا بالمطاة الرئيسية في الوضع في الشرق الاوسط وبكل اهميتها : فالشعب الفلسطيني ابعد عن ارضه التي عاش عليها منذ قرون عديدة . ونحن نعرف ان شعبا ما يتميز بارضه ، ووطنه ضروري من اجل تمييزه . واذا كان من المستطاع ان يتخذ العالم صورة جديدة اخرى يزول فيها مثل هذا النوع من التمييز ، فان لا احد ينكر ان الامور تسير اليوم على هذا المنوال ، ولا احد يدعش اليوم عندما يرى انسانا يجد وطنه مهددا فيدافع عنه ولو كلفه الامر حياته .

لنتخيل في هذا السبيل ان شعبا عريق التقاليد مثل الشعب الفجري يطالب في مثل هذا القرن بمنطقة ايطالية تكون وطننا له: مثل منطقة توسكانا . ولنتخيل ان مطالبه هذه مدعومة من قبل دول كبرى ، ثم لنتخيل ان شعب توسكانا عاجز عن دفع هجرة الضجر التي تولها جماعاتهم المنتشرة في انحاء العالم ، وان الشعب التوسكاني طرد خارج ارضه واجبر على الهجرة بعد الحرب العالمية الثانية ، خاصة وان هناك في الراي العام الدولي عطا على الفجر بسبب الالام التي فاسوها ولان هناك .. الف فجري قتلوا على يد النازيين . فهل يغف الجميع موقف اللامبالاة من مصير هذا الشعب كما وقفوا موقف اللامبالاة ازاء مصير هنود اميركا وشعوب اوستراياليا والهنود في البرازيل .. الخ .. والتي ضحي بها جميعا كما نعلم باسم « حضارة اسمي » . ماذا على هذا الشعب ان يفعل ؟ بوسعي التخيل ان البعض سيقولون ان هذه ليست الاتخيلات سياسية ، لكن هذا هو الذي حدث في فلسطين . واخفاء هذا عن امين الراي العام لا يفيد الا في خدمة الارهاب التخفي تحت اسم العنوان الثاري . ان ما قلته حتى الان يرمي الى تفسير ما وقع وليس الى تبريره ، لانه ليس من هدف هذه الرسالة تقدير احداث مفردة مثل تلك المتعلقة بالسوريين واللبنانيين الذين اسرهم الاسراييليون في شهر تموز الماضي ، او مثل تلك المتعلقة برهائن ميونيخ .

ويجب ان نذكر هنا ان للفاجعة الفلسطينية جلورا هامة في

القرب . احد هذه الجطور هو اللاسامية وهو احد الاسباب التي دفعت اوربا التي تعضها عقدة ذنبها الى تأييد خلق « دولة اسراييل » . والواقع ان هذا يعني الانتقال من اللاسامية الى اللا عربية . امسا العرب فلم يكونوا ابدا لاسامين لانهم هم انفسهم ساميون .

لقد شنت حملة كبيرة في القرب ضد العرب مقنعة بالرعب من ارهاب الفلسطينيين . وحدث ضجيج كبير وارتفعت الاصوات عالية وفيها لهجة الادانة . والحقيقة ان الضجيج الكبير يثار لان ما من انسان يريد سماع صوت ضميره . واذا ما خفت هذا الضجيج سنرى ان الارهاب لا يوجد بين الفلسطينيين ، لان الشر هو آخر ، وهو نفس الشر الذي سبب للاسانية خسارات واسعة مثل افناء الهنود الحمر وشعوب اوستراياليا وغيرهم ، وهو نفس المنطق الذي اراد تمييز اليهود في البارحة والفلسطينيين اليوم . والفاجع هنا ان شعبا قاسى بسبب شعب اخر ينتقم من شعب - كما يقول ارنولد توينبي - ثالث برىء ولا يعرف حتى في لفته كلمة « اللاسامية » . ومن المفجع ان اليهود الذين عرفوا ماذا يعني الالم والاهانة لا يحتجون ضد الحركة العنصرية التي تريد التكلم باسمهم . ومن المفجع ومن الطامة وما يحمل على التشاؤم ان المانيا تقدم لاسراييل المدرعات ووسائل الدمار بدلا من ان تتخذ موقفا مرضاه الضمير .

كل هذا هيء باسم حضارة اسمي . لكن اولئك الذين يتكلمون من الحضارة الغربية لا يظهرون انهم احسن ممثليها ، فبوسع الحضارة دوما ان تجد اولئك الذين يحولونها الى « شعارات » عنصرية ، كما يفعل ، وما زال يفعل اوائل المستعمرين الذين غزوا شطري اميركا ، والاسراييليون في فلسطين لنقص في القيم الثقافية والحضارية والاجتماعية - السياسية والتاريخية لديهم . هناك من جهة معينة من يتكلم عن الحضارة الغربية وهناك من جهة اخرى اناس مثل غوته الذي نتتبع خطى رحلته الروحانية الى المشرق . هو الذي كان يعانق الحضارة الغربية ومعها « الشرق والغرب » ، الشمال والجنوب ، المستريحة كلها على كف الله « هو الذي كان يمجّد من بين اسماء الله العليا اسم العادل :

« Sei Von Seinen hundert namen dieser hochgalobet!

Amen » انه حارس الحضارة الحقيقي وليست

هي الفازات السامة وقنابل النابالم التي تحرسها . هناك ايضا القديس فرانسيسكو الذي الف اناشيده ومقطوعاته وتسبيحاته ، والذي كان وما زال يحمل رسالة الاخاء الى العرب ، انه هو الحارس الفعلي ، الحارس الاول للحضارة الغربية ، وليس صناع البربريات في فلسطين والفيتنام . كما ان الحضارة لا تستطيع اليوم بلوغ النصر على يد من لا هم لهم في الامس الا الزعيق باحاديث حول « العنصر الافضل » وحول « الدفاع عن العنصر » .

وهم اليوم لا يفعلون الا ارهاب الطلبة العرب والفلسطينيين بشن حملات صحافية ضدهم .

وفي النهاية اقول ان كل هذه التشجيمات التي تلقاها اسراييل تعكس ميولا سحيقة في القدم . والصوت الصادق ليس هو الصوت الذي يشجعهم على ان يصبحوا عساكر ومخاربيين ضد شعوب عليهم ان يتعايشوا معها . ان العالم هو وحدة متكاملة ولا احد ياتي من خارج الكون ، ولهذا فان الشعب الفلسطيني هو من هذا العالم وعلى يهود فلسطين ان يقبلوا العيش معه في دولة ديموقراطية . هذا مما يوفر كثيرا من النماء ويعني العدالة .

ونحن علينا الا نستمتع لاولئك الذين يصدون صوت حضارة اجشى ، بل علينا ان نتبع اصواتنا اصداق واعم . انه صوت الصوفي الانكليزي فرانسيس تومبسون الذي كان يرى جميع الاشياء قريبا وبعيدها متصلة فيما بينها بقوة خفية لا تفنى ، حتى « انك لا تستطيع هز وردة من غير ان تحمل الاضطراب الى نجمة » .

\* \* \*

عيننا الشهيد - الى روح وائل زعيتر

كم اكره نفسي اذ اجلس اليوم لكتبك اليك . كم اكره نفسي

# طوب غير مسلح

قطعت كفي  
لم أعد في حاجة اليها  
فمهنتي : صناعة الفخار .  
وبعدما سطا للصوص فوق الدار  
وكسروا الذي صنعته في بطء  
ونهبوا الالوان والذكرى ، وسرقوا النار  
ودلقوا الاحلام والصلصال والشمسا  
قطعت كفي التي قد شكلت :  
آنية للماء  
آنية للخمر  
آنية للزهر  
آنية للطر  
آنية للحب  
في وضع النهار كان السطو  
كانت وجوههم بلا لثام

هادئة ، متزنة . ماسحة بلا تعبير .  
أعرفهم ، جميعهم  
يمكنني أن أذكر الاسماء والصفات والمناصب  
فوجئت عندما رأيت اصدقائي بينهم  
وعندما حاولت أن . . . .  
أسكت .  
( لن أقول كيف ! )  
وهكذا قطعت كفي الاخرى .

لا تبتئس  
يحدث هذا كل يوم  
تصفح الجرائد اليومية . .  
بحسبة بسيطة . .  
عليك أنت الدور - حتما .  
ربما غدا . . أو ذلك المساء . .  
عندما تعود للزوجة ، والاطفال  
لا تنزعج  
يمكنني أن أذكر الاسماء .  
هل تود أن تعرفها ؟

يسرى خميس

القاهرة

طريفك الى المصد في بناء بيتك ، وعندما التجات والدماء تقطر  
من جراحك الى باحة البناء انهالوا عليك كالمجانين بطلقاتهم الوحشية  
الاخرى . وتمددت اعوامك الثمانية والثلاثون على الارض الرثة قرب  
اصص الزرع الخضراء . ورأى العالم بأجمعه صورتك المحزنة وانت  
تمدد ، تحت ابظك حقيبتك ، قرب جنتك الليرات العشر التي هياتها  
للمصد الكهربائي ، والى جانب يدك الاخرى عنقود عنب وقطعة الجبن  
والخبز التي حضرتها لمشائك الاخير . كان معك ايضا مجلة - كما  
هي العادة - وصورة اشعة لجسمك المسكين ، الممدد الان تحت انظار  
الطب التشريحي .

عشت فقيرا مع ان اموالا لا تحصى ولا تعد مرت بين يديك ،  
كنت تاخذها وتدفعها بنفس اللامبالاة ، واقول بنفس الاحتقار . وكيف  
لك الا تحترق النقود انت الجائع المذب ، انت الصوفي الشرقي  
وابن عائلة من اعرق عائلات نابلس الصوفية . .

ماذا اراد الانزال من وراء قتل انسان مثلك ؟ هل هي سلسلة  
ارهابية جديدة ؟ كنت تحس بقرب موتك . هذا ما اكده جاراك الايطالي  
الذي كان يراه وانت تكثر من التفاتك بينما تسير .

عيناك الصليتان البراققان تطلان الان علي من عليائك ، وميضهما  
يؤكد لي جلال شهادتك ، وعمق نظراتهما يزيد في قلبي من هول  
المصيبة ولوعة فراقك لنا بهذه الطريقة المفجعة . لكنني اتوجه اليك  
وبقلب صادق باطيب تهاني لهذه الشهادة الرائعة التي تمكنت من  
الاستثثار بها . كنت تقوم بواجبك وقد لقيت حتفك في سبيل  
واجبك .

قبل اشهر كنا نتحدث ياوائل - وبوسعك الان ان تذكر اكثر  
مما يمكن لاي حي ان يذكر - عن صراعنا مع اسرائيل . وقلت انت ان  
اسرائيل تهدف الى الابداء العربية وليس الى الاحتلال وحسب . كنت  
تشم بحس انبالك بنهايتك المفجعة . لكن ابشر في عليائك . لا بد  
للاهور ان تتغير . قبل ايام قلت لمورافيا - وكنت انت على قيد  
الحياة - ان قوة الظلم التوسمي لدى اسرائيل هي اقوى من قوة  
التحمل لديها ، وان تلك القوة فيزيائية . فاجابني مورافيا بحكمة  
( لا شيء يقف في الطبيعة ، هناك توسع وهناك تقلص ) . وبعد  
كل توسع تقلص . فلتبتهل روحك الطاهرة من اجل انتهاء عهد توسعهم . .  
وليرحمك الله . . .  
نبيل المهاني

اذ اقول اني اكرهها . قتلوك في باحة بناء بيتك المتواضع في الحي  
الافريقي في روما . لماذا ؟ لانك فلسطيني ، فقير ، لا احد يحميه  
ولا احد يلود من حقوقه . المرة الاخيرة التي رايتك فيها ، لمحتك  
من بعيد وانت تسير الهونا متابط صحفك التي لم تكن تفارقك .  
قبلا بيوم ، بل في ليلة ذلك اليوم ، جمعنا الضجر والقرف في  
مسيرة ليلية تحدثنا فيها عن ذلك الصحفي وعن هذا الصحفي ، عن  
فلسطين وكيف تعاملها الصحف الايطالية . وكان عليك ان تنقل كثيرا  
مما قيل في تلك الصحف الى المنطقة التي كنت تمثلها في روما ، الى  
فتح ، وحدتني عن قرفك من كل ما يكتبون ، من كل اكاذيبهم وما  
يلفقون . حدثني عن قرفك حتى من استقلال الاصدقاء لصداقتنا  
وللتعاطف مع قضيتنا في سبيل مصالحهم الانتخابية والداخلية  
البحثة . من يبقى لنا ؟ ليس الا الله الى جانبنا هنا . ولم تس  
ان تحدثني عن الله في تلك الليلة . ما احلى صوفيتك الحديثية  
التي كنت احسدك عليها . حدثني عن مشاهداتك العلمية تحت المجهز  
عن الطبيعة الرائعة ، عن الطبيعة القاهرة . اي حنين الان الى تلك  
الوقوفات التي كنت تقفها بين الفينة والاخرى ، توقفني وتقف لتكمل  
حديثك مستخدما يدك للتعبير ، تماما كما يفعلون في بلدي الحبيب . .  
اي حنين الان . . .

وائل زعيتر . من اوهر الشباب العرب ثقافة في روما . يعيش  
في ايطاليا منذ سنوات قدم فيها للقضية الفلسطينية مالم تقدمه  
اجهزة بكاملها تملك من الوسائل المادية مالا يقاس بما كان بوسع  
وائل ان يحصل عليه لعمله . عمل على تنظيم مؤتمرات ومحاضرات  
وتظاهرات ، واشرف على اصدار جريدتي ( فلسطين ) و ( فتح )  
بالايطالية . كان صلة الوصل بين المنظمات الفلسطينية في الوطن  
وبين الطليعة الفكرية في الغرب : من جان جنيه الى البرنو مورافيا  
. . قال له احد السفراء العرب مرة متهمكا على مظهره غير (الائق)  
( وهل انت سفير ؟ ) ، شكاهما الي وائل والمرارة تحز في قلبه ،  
قال هاه ما بوسعنا انتظاره من الاجهزة الرسمية . عندما عقدت  
ندوة فلسطين في الكويت كان هو مرافق الوفد الايطالي الى الندوة  
ومنظم برامج هذا الوفد .  
احتاجوا لقتلك ياوائل الى ١٢ رصاصة . يا لجسمك الرقيق  
والمسكين . بالذللهم . ضربوك ياوائل برصاصتين في ظهره وانت في